العرب
الإثنين 2020/02/03
السنة 42 العدد 11606

عراقي من جماعة ترامب يتحدث عن صفقة القرن

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

يصدمك، فعلا، حديث عمّا سُمّي بـ"صفقة القرن" يدلي به سياسي أميركي عراقي يعتبر نفسه من المحبوبين القلائل لدى الرئيس الأميركي دونالد ترامب، وليس فقط من المقرّبين إليه، وكان لصيقا به في زيارته الأخيرة لولاية ميتشغان مؤخرا.

يقول لك، حين يثق بك ويطمئن إلى أنك لن تنشر كلامه مرفوقا باسمه الصريح، إن الصفقة صفعة بكل المقاييس الدولية والإنسانية والسماوية، نعم، ولكننا، نحن العراقيين بشكل خاص، نقدّر ظروفه التي قد تكون سببا كبيرا في إقدام ترامب عليها. فهو بهذه الصفقة الظالمة غير العادلة إنما يريد أن يفي بوعده الذي قطعه على نفسه من قبل أن يفوز بالرئاسة، فيدفع الباقي من الثمن ليهود الولايات المتحدة ولإسرائيل، بعد قراره السابق بنقل السفارة الأميركية إلى القدس.

أما لماذا هذه الصفقة، ولماذا الآن، فذلك لشراء الرضا اليهودي الأميركي في مواجهة خصومه الديمقراطيين، ولضمان إخراجه من مأزق العزل، ثم معاونته على الفوز في الانتخابات القادمة.

إيران بما فعلته بنا، منذ أربعين سنة وإلى اليوم، من قهر ونهب وتخريب وإرهاب وفساد وإفساد، تصبح أولوية لدينا تفوق ضرورتُها قضية فلسطين أو أي قضية عربية وإسلامية أخرى، مهما كانت كبيرة ومحورية

فخطته في حقيقتها تخويل حقيقي كامل بضم القدس، موحدة ونهائيا، والضفة الغربية إلى الدولة اليهودية مقابل بقعة فلسطينية محاصرة ومبعثرة الأوصال، تديرها إسرائيل وترسم شكلها وحدودها وطبيعتها كما تشاء، وهذا قهرٌ يصعب علينا تأييده أو قبوله، ولكن العقل والواقع يفرضان علينا اختيار الصمت لسببين.

الأول لأن لا خيار للعراقيين، وربما لعرب آخرين كثيرين، مواطنين لا حكومات، سوى الصمت، رغم مرارته وما يشكّله من إهانة قومية من الوزن الثقيل، ويعتبره العراقي الوطني الشريف ظلما لشقيقه الفلسطيني جاوز جميع الحدود، ولكن لا بديل عن هذا الصمت سوى دعم المقاومة وتأييدها في مقاتلة إسرائيل بالوسائل المتاحة. ولكن ماذا تستطيع هذه المقاومة أن تفعله، خصوصا وأنها، بشكل أو بآخر، محسوبة على إيران وعلى حزب الله اللبناني، وهو ما يجعلنا لا نؤمن بجديتها ونزاهتها؟

الثاني هو أن ما فعلته إيران، ومعها طوابيرها العراقية وميليشياتها، لا يترك في قلب المواطن العراقي، والعربي أيضا، سوى تأييد ترامب في محاصرته للنظام الإيراني ووكلائه. ولولا سياساته الخانقة الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي يصرّ على التمسك بها إلى أن يجبر النظام الإيراني على الرضوخ لشروطه التي يهمنا منها، نحن العراقيين والعرب المكتوين بشرور هذا النظام الإرهابي العدواني، شرطه أن يتخلّى هذا النظام عن تدخلاته في الدول المجاورة، وخاصة في العراق.

بعبارة أخرى، إن إيران بما فعلته بنا، من أربعين سنة وإلى اليوم، وما تفعله اليوم، من قهر ونهب وتخريب وإرهاب وفساد وإفساد، تصبح أولوية لدينا تفوق ضرورتُها قضية فلسطين أو أي قضية عربية وإسلامية أخرى، مهما كانت كبيرة ومحورية ومن أي وزن وأي نوع.

يعني، وبالقلم العريض، أن نظام الملالي الإيراني يحرم الشعب الفلسطيني من نجدة أشقائه العراقيين واللبنانيين والسوريين، ومن حرارة حماسهم السابق في مشاركة الفلسطينيين معاركهم ضد الاحتلال.

وقد يفاجأ المواطن الفلسطيني بأن أشقاءه، عرب العراق وسوريا والأردن ولبنان ومصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب ودول الخليج العربي، لم ينتفضوا ولم يتظاهروا ضد الصفقة، وتركوا الخلق للخالق، وكأنهم يكتفون بالفرجة على حفل إعلان الصفقة على شاشات التلفزيون، وكأن ما يجري ليس في أرض عربية، بل في مجاهل أفريقيا أو بلاد الواق واق.

فلم يشهد التاريخ مثالا لهذا البرود الجماهيري العربي في ما يخص فلسطين، أبدا وقطعيا ودون جدال. فقد كانت الأرض العربية، كلها، من المحيط إلى الخليج، تشتعل غضبا، وتخرج جماهيرها، بعفوية نادرة، وبحماس غير مفتعل، عن بكرة أبيها هاتفة بموت إسرائيل، ومطالبة حكوماتها بفتح باب التطوّع لقتالها، فقط حين تمس حكومة إسرائيل شجرة أو شبرا من أرض فلسطينية، أو حين يعتدي جندي من جنودها، أو واحد من مستوطنيها، على رجل أو امرأة في قرية من قرى فلسطين.

فبعد أربعين عاما من جرائم القتل والذبح والحرق والاغتيال والتفجير والتهجير التي ارتكبها النظام الإيراني، مباشرة بجيشه أو حرسه الثوري، أو بواسطة ميليشياته اللبنانية والعراقية والسورية واليمنية والبحرينية والفلسطينية، راحت حرارة غضب الجماهير العربية تبرد، وسخونة ثورتها تخف، وتسكت ولا تتكلم، ولا تخرج من ديارها متظاهرةً مطالبة بالثورة، كما كانت، وهي ترى وتسمع الأخبار المحزنة التي تتحدث عن اعتداء جنود ومستوطنين يهود على مواطنين فلسطينيين، ومصادرة أرضهم، وإهانة كراماتهم، واغتصاب أرزاقهم، وذلك لأنها صارت ترى همومَها وعذاباتها وآلامها وأحزانها ومآتمها التي يصنعها "المجاهدون" الخمينيون وميليشياتُهم أكبر وأخطر من أي شيء آخر.

بعبارة أخرى لقد صارت الجماهير العربية ترى أن إيران التي تحتلّ بلادها وتقتل وتنهب وتُخرب وتغتال وتُفجر، كل يوم وكل ساعة، جعلت مظالم اليهود تبدو أقلّ ضررا وأخفّ وأهون.

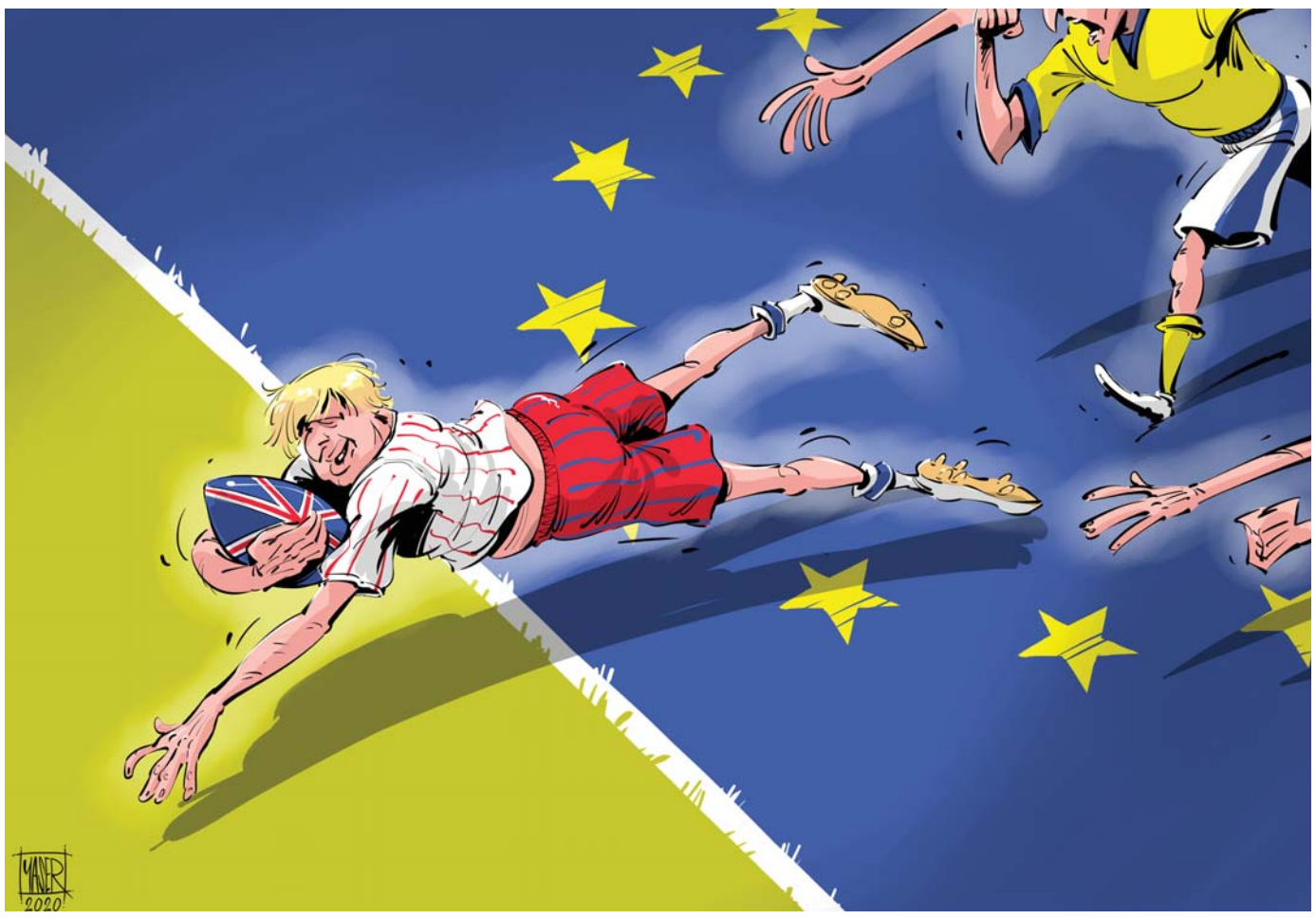

سقوط آخر لبريطانيا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس الخروج من الاتحاد الأوروبي تحت شعارات مضحكة لا علاقة لها بالواقع والحقيقة، من نوع أن بريطانيا استعادت "الحرّية" و"الاستقلال"، سوى سقوط آخر لدولة محتارة بنفسها لم تدرك بعد الحرب العالمية الثانية أنّها لم تعد قوّة عظمى في هذا العالم.

باتت بريطانيا تسير في اتجاه المجهول. تكفي استعادة التاريخ السياسي لرئيس الوزراء بوريس جونسون للتأكد من أن الرجل لا يمتلك أيّ مبادئ واضحة يريد بلوغها باستثناء موقع رئيس الوزراء. كلّ ما يمتلكه هو نوع معيّن من الذكاء يسمح له بممارسة الانتهازية. تبقى الانتهازية اللعبة المفضلة لدى ابن مدلّل لعائلة ميسورة من أصل تركي أرسلت ابنها إلى إحدى أفضل المدارس (ايتون) وإحدى أفضل الجامعات (أوكسفورد). لا شكّ أن الانتهازية تحتاج إلى ذكاء. لكنّ الأمر الذي لا شك فيه أيضا أنّ الانتهازية لا تصنع من أيّ شخص ما سياسيا كبيرا يدخل بالفعل التاريخ من أبوابه الواسعة كما دخل ونستون تشرشل أو مارغريت تاتشر.

في ما عدا الانتهازية، لا يمتلك بوريس جونسون أي إستراتيجية سياسية محدّدة، كما كان الحال مع مارغريت تاتشر، مؤسسة بريطانيا الحديثة. هذا لا يمنع الاعتراف بأن لدى بوريس جونسون معرفة دقيقة لكيفية استغلال الفرص عن طريق ركوب الموجة الشعبية في لحظة معيّنة.

ركب بوريس جونسون موجة "بريكست"، أي الخروج من الاتحاد الأوروبي، واستغل لاحقا إلى أبعد حدود تردّد سَلَفَيْه في موقع رئيس الوزراء بغية الوصول إلى حيث يريد. فديفيد كاميرون لم يحسن تسويق فكرة البقاء في الاتحاد الأوروبي عندما حدّد موعدا لاستفتاء شعبي في حزيران – يونيو من العام 2016. اضطر كاميرون إلى الاستقالة، وخلفته تيريزا ماي التي لم تكن تمتلك أيّ مؤهلات قيادية تسمح لها بتسيير مرحلة ما بعد الاستفتاء وكيفية الخروج من الاتحاد الأوروبي. كانت ماي تمتلك مؤهلات كثيرة من نوع مختلف، لكنّها كانت أبعد ما تكون عن السياسي اللامع الذي يستطيع السيطرة على نوّاب حزب المحافظين.

مساء الواحد والثلاثين من كانون الثاني – يناير 2020، خرجت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي. الحدث تاريخي بكل المقاييس. إنّها المرّة الأولى التي تخرج دولة من الاتحاد الأوروبي منذ قيام الاتحاد الذي بات الآن يضمّ 27 عضوا بدل 28. ليس واضحا ما الذي ستكون عليه علاقات المملكة المتحدة بأوروبا مستقبلا. ستتوضّح الأمور قبل نهاية السنة الجارية إثر مفاوضات بين الطرفين. سيكون على المفاوضات، التي ستجري بين حكومة بوريس جونسون والاتحاد الأوروبي، معالجة مسائل كثيرة. من بين هذه المسائل العلاقات التجارية والرسوم الجمركية وتبادل المعلومات... ووضع الأوروبيين المقيمين في بريطانيا. هل سيتوجب على هؤلاء الحصول على رخص عمل؟ ما وضع البريطانيين المقيمين في أوروبا؟ هناك مئات آلاف البريطانيين الذين يقيمون في إسبانيا. أكثرية هؤلاء من المتقاعدين الذين يجدون تكاليف الحياة في إسبانيا تتناسب والرواتب التي ما زالوا يتقاضونها. تشير إحصاءات رسمية إلى أن عدد هؤلاء يصل إلى نحو سبعمئة ألف. هناك أيضا مئتا ألف بريطاني يقيمون في فرنسا ويستفيدون من الخدمات الصحّية فيها...

مع خروج بريطانيا، أي المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي بعدما بقيت فيه 47 عاما، ثمّة ملاحظتان تستأهلان التوقف عندهما. تتعلّق الأولى بإصرار اسكتلندا على تنظيم استفتاء في شأن استقلالها وبقائها في الاتحاد الأوروبي. هذا ما أكّدته رئيسة الوزراء الاسكتلندية نيكولا ستيرجن في مؤتمر صحافي عقدته بُعيْد إعلان نتائج الاستفتاء البريطاني في 2016. أعادت ستيرجن، التي لدى حزبها 48 عضوا في مجلس العموم البريطاني، أي ثمانين في المئة من عدد النواب الذين يمثلون اسكتلندا، تأكيد الرغبة في إجراء مثل هذا الاستفتاء مساء 31 كانون الثاني – يناير 2020. أيّ مستقبل للمملكة المتحدة في حال غياب اسكتلندا؟

أمّا الملاحظة الأخرى، فهي متعلّقة بالشباب البريطاني الذي أيّد بنسبة كبيرة، تصل إلى سبعين في المئة، البقاء في أوروبا. تبيّن أنّ هناك انقساما آخر بين الشباب البريطاني من جهة، والمتقدّمين في السنّ من جهة أخرى، في بلد اعتاد فيه الشاب على العيش في المكان الذي يختاره في أوروبا من دون قيود من أيّ نوع.

هل يكفي في السنة 2020 رفع العلم البريطاني وإطلاق شعارات ذات طابع عنصري لتأمين مظلة لهبوط آمن من ارتفاع شاهق؟

بدأ البريطانيون يكتشفون أن ذلك ليس كافيا، وأنّ الطلاق مع أوروبا مسألة في غاية التعقيد، خصوصا في ظل المشاكل التي يعاني منها الاتحاد الأوروبي نفسه الذي عملت بريطانيا في الماضي على توسيعه كي لا تكون هناك قوّة مهيمنة فيه نواتها الدول الست المؤسسة، أي ألمانيا وفرنسا وإيطاليا ومجموعة بنيلوكس (بلجيكا، لوكسمبور، هولندا). من المفارقات أن بريطانيا، التي كانت وراء الدفع في اتجاه توسيع الاتحاد الأوروبي والوصول إلى رفع عدد الدول إلى 28، تبدو وكأن هدفها أصلا القضاء على فكرة أوروبا الموحّدة. هذا ما جعل المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، تقول "إن هذا جرح عميق بالنسبة إلينا كلّنا". وهذا ما جعل أيضا الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يتحدّث عن "جرس إنذار ذي بعد تاريخي يفترض أن تفهم معناه أوروبا كلّها وأن نفكّر في ما الذي يعنيه".

هل يكفي في السنة 2020 رفع العلم البريطاني وإطلاق شعارات ذات طابع عنصري لتأمين مظلة لهبوط آمن من ارتفاع شاهق؟ بدأ البريطانيون يكتشفون أن ذلك ليس كافيا، وأنّ الطلاق مع أوروبا مسألة في غاية التعقيد

ستدفع المملكة المتحدة، التي وقف أكثر من نصفها بقليل مع الخروج من أوروبا، غاليا ثمن نتائج الاستفتاء الذي أُجري في 2016، والذي ترجمت حكومة بوريس جونسون نتائجه على أرض الواقع في الشهر الأوّل من السنة 2020. ستدفع ثمنا غاليا لا لشيء سوى لأنّ الازدهار البريطاني، عائد في معظمه، إلى أن العلاقة بأوروبا حوّلت لندن إلى أكبر مركز مالي عالمي وإلى حسن إدارة هذه العلاقة والاستفادة منها ولا شيء آخر. لا شك أن موقع لندن سيتراجع، ذلك أن شركات مالية ومصارف عالمية نزحت إلى مدن أوروبية أخرى مثل ألمانيا وفرنسا وحتّى سويسرا التي ليست عضوا في الاتحاد الأوروبي. مثلما أنّ بوريس جونسون كان الطفل المدلّل لعائلته، كانت المملكة المتحدة الابن المدلّل للاتحاد الأوروبي. لم تدخل بريطانيا منطقة العملة الأوروبية الموحّدة (يورو) ورفضت الانضمام إلى الاتفاق في شأن التأشيرة الموحّدة (شينغن) ورفضت الرضوخ لاتفاقات أخرى أقرّت في إطار الاتحاد الأوروبي.

سيبقى بوريس جونسون في موقع رئيس الوزراء فترة أخرى، خصوصا أن لديه أكثرية مريحة في مجلس العموم. سيندم البريطانيون على خياراتهم حتما... إلا إذا اكتشفوا أن لديهم بديلا من أوروبا، وأن بريطانيا عادت فعلا، بقدرة قادر، بريطانيا العظمى، أي الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس!